خطبة الجامع الأموي لفضيلة الشيخ مأمون رحمة

٨ من جمادى الأولى ١٤٣٦ هـ / ٢٧ من شباط ٢٠١٥ م

الحمد لله رب العالمين، الحمد لله حق حمده، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمّداً عبده ورسوله وصفيه وخليله، اللهم صل وسلم وبارك على نور الهدى مُحَمَّد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وارضَ اللهم عن الصحابة ومن اهتدى بهديهم واستنّ بسنّتهم إلى يوم الدين.

من اعتمد على علمه ضلّ، ومن اعتمد على عقله اختلّ، ومن اعتمد على سلطانه ذلّ، ومن اعتمد على ماله قلّ، ومن اعتمد على الناس ملّ، ومن اعتمد على الله، فلا ضلَّ ولا قلَّ ولا ملَّ ولا ذلَّ ولا اختلَّ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

عباد الله، أوصي نفسي وإياكم بتقوى الله عزَّ وجل، واعلموا أنكم ملاقوه وبشر المؤمنين.

يقول المولى ﷻ في القرآن الكريم: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [المائدة: ٢].

روى الطبراني، أن رسول الله ﷺ قال: ((لن تجتمع أمتي على ضلالة، فعليكم بالجماعة، فإن يد الله على الجماعة)) وروى الإمام أحمد، أن النبي ﷺ قال: ((الجماعة رحمة، والفرقة عذاب)).

معاشر السادة: المواهب الإنسانية النفيسة مختلفة ومتكاثرة، وقلما تجتمع في رجل واحد، بل إنها توج موسعة بين الفئات الكثيرة من الناس، فإذا تكونت إحدى الجماعات وأحسن أعضاؤها التعاون فيما بينهم كان كل منهم مكملاً لنقص الآخر، وكانت كل موهبة سناداً لأختها المغايرة لها، فكانت الجماعة منتجة موفقة، أما إذا استغنى المرء عن غيره وغالى بمواهبه المحدودة، واعتذر عن نقصه واستهان بمواهب غيره وتجهم لها، فلن يصل ولن تصل معه الجماعة إلى مستوى عال من النجاح المنشود، ولنا أن نذكر قصة الأعمى والمقعد التي قرأناها صغاراً ونَسينا تطبيقها كباراً، المقعد رجل قوي البصر، ولكن أنّى له الأقدام التي يمشي بها، والأعمى رجل قوي الأقدام، ولكن أنى له البصر الذي يهتدي به، فإذا حمل هذا ذاك انتفع كلاهما من الآخر، وتعاونا على السير في طريق الحياة.

ومواهب الناس العقلية والنفسية تشبه كل الشبه هذه القصة البسيطة، فمن الناس من له بصر بالأمور، غير أنه يفقد قوة السعي إليها، ومن الناس من له دأب على العمل، غير أنه بحاجة إلى حسن التوجيه،

وتختلف المواهب وتختلف أنصبة الناس منها، والتعاون وحده هو سبيل الخير الذي تلتقي فيه الجهود المبذولة، وتنتظر منه الثمرات المأمولة، ولا سبيل سواه.

وسبل الفشل الذي تمنى به الأفراد والجماعات هو الذهول عن هذه الحقيقة القريبة، هو تقرير الأعمى لقوة قدميه وذهوله عن ضعف بصره واحتقاره لأبصار المبصرين، وتقدير الكسيح لقوة عينيه وذهوله عن ضعف قدميه واحتقاره لأقدام الآخرين، الشاعر يَظن النهضة خيالاً، والخطيب يظنها حماسة فقط، والعالم يظنها بحثاً فقط، والاقتصادي يظنها مالاً فقط، والواعظ يظنها صلاة فقط، والمجتمعات تكون بشر من عدم تعاون أبنائها وتسادد ملكاتهم في خدمتها، فمتى تذوب هذه الأنانية لتحل محلها العقلية التعاونية المرنة؟.

يا سادة: إن الكثرة قد تعين على إنجاح العقائد ومساندة أصحابها، والقلة ربما خَذَلت الحق وجرأت عليه، ومن هنا يتجلى لنا موقف النبي ﷺ في مشاركته لأصحابه في بناء المسجد، فكان يحمل معهم اللبنات والأحجار على كاهله، وقد ضاعف هذا التعاون حماس الصحابة في العمل فأنشدوا قائلين:

لئن قعدنا والنبي يعمل *** لذاك مِنّا العمل المضلل

وإنك لتجد القرآن الكريم الكثير من الأمثلة والقصص التي ذكرها ربنا ﷻ، ليبين لنا أهمية التعاون في الحياة، وأن الحياة لا تكون شؤونها ولا يقوى ركنها إلا بالتعاون بين أفرادها، مر العبد الصالح ذو القرنين على قوم لا يكادون يفقهون قولاً، وقد شكوا إليه بأس جيرانهم واحتلالهم لأرضهم وشدة وطأتهم، وعرضوا عليه مالاً لينقذهم من هذا البلاء، ولكن الرجل الصالح رفض هذه الرشوة من الشعب الكسول، وقال لهم: تعالوا لنتعاون، أنا أفيدكم بخبرتي، وأنتم أفيدوني بقوتكم، قال: ﴿قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا﴾ [الكهف: ٩٥] فذو القرنين يَعلم القوم المتكاسل أن السلبية لا تخلق بطولة، لن البطولة عطاء واسع ومعاناة أشد، وفي أدبنا العربي طرائف في هذا المعنى تستحق الذكر، يقول عروة بن الورد:

دعيدني أطوف في البلاد لعلني أُفيد غِنَاً فيه لذي الحق محمل
أليس عظيماً أن تُلم مُلمة وليس علينا في الحقوق مُعَوَّل
فإن نحن لم نملك دفاعاً لحادث تُلِمُّ به الأيام فالموت أجمل

وهذا موسى عليه السلام يَطلب من ربه مَن يُعينه ويأزره في دعوته: ﴿هَارُونَ أَخِي * اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي * وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي﴾ [طه: ٣٠-٣٣] فاستجاب له ربه دعوته، فأجابه سبحانه: ﴿قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ﴾ [القصص: ٣٥] وها هو موسى عليه السلام يُسارع إلى إعانة الفتاتين على سقاية غنمهما، قال سبحانه: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ * فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ [القصص: ٢٣-٢٤].

يا سادة: إن من أبشع الظلم وضع الأمور في غير نصابها، وغمط الكفايات ورفع النفايات، والحياة لا تصلح وفق أوامر الله إلا إذا انتفى منها هذا البخس والعقوق، ولذلك يقول جل شأنه: ﴿وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف: ٨٥] والأمة الإسلامية لم تنحدر من قرون عدة إلا لجفاف هذا الخير الدافق من الإيمان الحي، الإيمان الذي لا يبخس حقاً ولا يرضى فساداً، فالخير العام الذي عنته الآية ليس ثواب الدنيا والآخرة، إنه الاستقرار في أركان المجتمع، والمجتمع لا يُمكن أن يَستقر إلا إذا تعاون أبناؤه وأفراده على نَشر الرحمة، وبث مشاعر الحنان والرحمة بين الناس، وإقامة الصلة بين الإنسان والإنسان على ضرب من الاحترام والعناية.

إن خَير الأعمال -يا سادة- أن لا نجعل البيئة الاجتماعية بيئة مليئة بالتجويع والتشريد، وإن أفضل ما نقدمه لديننا ودنيانا أن نعمل على سيادة التأمين الاجتماعي وعلى شموله لكافة ما يحتاج إليه الفرد من ماديات ومعنويات، ولهذا المنهج أطلق النبي ﷺ لسانه بالمدح والثناء على قوم أبي موسى الأشعري حيث قال: ((إن الأشعريين إذا أرملوا في الغزو أو قل طعام عيالهم في المدينة جمعوا ما كان عندهم في إناء واحد ثم اقتسموا منهم بالسوية، فمنهم مني وأنا منهم)).

إن الإسلام تارة يعتبر الأمة كالبنيان يشد بعضه بعضاً، وإلى ذلك أشار النبي ﷺ بقوله في الحديث الشريف: ((المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً)) وتارة يجعل المجتمع كالجسم الواحد في شيوع الإحساس والشعور بالألم، وإلى ذلك أشار النبي ﷺ بقوله: ((مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى)).

غير أن هذه الأقوال إن لم تُترجم عملياً وتُنقل من ميدان النصائح والأخلاق المستحبة إلى ميدان العمل والتطبيق فإنها تبقى كما هي في مواضعها مِن بطون الكتب أو مِن أفواه الواعظين، ولا تتقدم الحياة شبراً

إلى الأمام، فهل نَتفيأ جميعاً في ظلال الرحمة الذي بسطها علينا هذا الدين، ونتعاون على تحقيق الخير والصلاح لأنفسنا ولمجتمعنا وللآخرين؟ أم هل سَيَصدق علينا "لويس برتران" عندما قال مُتسائلاً: الشرق إنكم لا تعلمون حقيقته، إنه القذارة والسرقة والانحطاط والاحتيال والقساوة والحماقة"، أم هل سيصدق علينا قول "روبرت فرانس" عندما قال: "الإسلام نبع جف ماؤه، فماذا باستطاعة المسلمين أن يُلقنونا، إن كنا مرضى فهم في حالة نزع، إنهم أصحاب حضارة ثابتة، ديانتهم ولغتهم عقيمتان، الأمثولة الوحيدة التي نأخذها من المسلمين –اسمعوا يا عرب، واسمعوا أيها السوريون، ماذا يقول عنا وعن ديننا وعن عقيدتنا هذا الحاقد– الأمثولة الوحيدة التي نأخذها من المسلمين هو أن انحطاطهم يجب أن يُعلمنا كيف نتجنب الوصول إلى هذا الدرك" ذاك رأيهم فينا وعملهم منا، فماذا نقول وكيف نرد؟.

أيها العربي: أما تبكي دماً عندما تجد حمامات الدم، في سوريا، هذا الوطن العظيم الذي ضربه الإرهاب الغادر، وغدرته العين الجائرة، في سوريا، وفي العراق، وفي ليبيا، وفي مصر، وفي فلسطين، ولا ندري أن تنتهي وتستقر هذه السفينة الإجرامية بعد، أما تبكي دماً عندما تجد هذه البلدان والأوطان تهدم بأيدي أبنائها، تهدم باسم الإسلام وتحت رايات الإسلام، أما تبكي دماً –أيها المسلم، أيها العربي– عندما تجد الأمة أصبحت متفككةً مُتمزقة، لا تتعاون إلا على الإثم والعدوان، وتركت المنهج الرباني الذي قال لنا: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾ [المائدة: ٢].

لنعلم جميعاً أن صلاح الأمم والمجتمعات لا يمكن أن يتحقق إلا بالتعاون، إلا بالصدق لعقيدتنا ولأمتنا ولقضايانا ولمجتمعاتنا، عندما نصدق وتتحد الجهود مع بعضها البعض عندها نجد أعداءنا وعلى رأسهم بني صهيون يولون الأدبار، تاركين أرضنا المقدسة التي احتلوها سنين طويلة، تاركين أقصانا الشريف الذي دنسوه بكل ما أوتوه من قوة وحماقة ودناءة.

أما آن لنا –كعرب وكمسلمين– أن نتعاون على البر والتقوى، وأن لا نتعاون على الإثم والعدوان، كم تتألم وكم نبكي وتبكي عينك دماً عندما تجد المناطق التي حاصرها الإرهاب، أن فئة المسلحين المجرمين المرتزقة المارقين يأكلون ويشربون ويتلعبون في أحسن طعام وأطيب منام، تجد المدنيين يُعانون من الجوع ما يُعانون، يعانون من قلة الدواء والغذاء ما يعانون، أين التعاون، والمصيبة فوق هذا وذاك كل ذلك تحت راية الإسلام وباسم الإسلام، كم يتحمل الإسلام من حماقات أهله، رحم الله إمام الدعاة الشيخ متولي

الشعراوي عندما قال: -اسمعوا أيها العرب، اسمعوا يا سوريون، عندما قال إمام الدعاة- "نحن لا نخشى على الإسلام من أعدائه، إنما نخشى على الإسلام من أهله".

نحن أسأنا إلى ديننا، ونحن من قتل ديننا، ونحن من فتك بمجتمعاتنا، ونحن من فتك بالقيم والأخلاق التي أمرنا الله بها، فهل من صحوة عربية، أو من صحوة إسلامية، نعود إلى ديننا وإلى رشدنا وإلى صحوتنا، وهل تستيقظ تلك العقول العفنة من سكرتها التي دامت طويلاً وطالت كثيراً، في أي دين، في أي منطق، في أي عقيدة، في أي مذهب، يَحل لكم -يا خونة، ويا قتلة- أن تعتدوا على المسيحين الآشوريين في الحسكة وفي العراق، في أي دين تهدمون مسجداً في العراق في سوريا وفي فلسطين وفي غيرها، في أي دين وفي أي مذهب يصح أن نقتل بعضنا البعض، تاركين اليهود المغتصبين يسرحون ويمرحون بدعارتهم في أقصانا الشريف، تركنا اليهود وتركنا القضية الفلسطينية الأساسية، والتفتنا إلى الشغل ببعضنا البعض، نُهدد بعضنا البعض، نهدر دم بعضنا البعض، نتعاون بالإثم والعدوان على بعضنا البعض، وتركنا بني صهيون يسرحون ويمرحون، وهم يضعون الأقلام بين أصابعهم الخبيثة لكي يضعوا مخططات جديدة إلى الأمام في السنين القادمة، لكي يُعلنوا دولتهم المزعومة الواهمة "حدود إسرائيل من الفرات إلى النيل" فهل من صحوة ويقظة تَرُدُّنَا إلى التعاون، إلى الأخلاق، إلى التراحم، إلى العروبة الأصيلة؟! إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

الخطبة الثانيـــــــ٢ــــة:

الحمد لله رب العالمين، الحمد لله حق حمده، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن مُحَمَّداً عَبده ورسوله وصفيه وخليله، اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه أجمعين.

عباد الله اتقوا الله، واعلموا أنكم ملاقوه، وأن الله غير غافل عنكم ولا ساه.

اللهم اغفر للمسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات الأحياء منهم والأموات، اللهم ارحمنا فإنك بنا رحيم، ولا تعذبنا فإنك علينا قدير، اللهم ارحمنا فوق الأرض وتحت الأرض ويوم العرض عليك، اللهم ارحمنا فوق الأرض وتحت الأرض ويوم العرض عليك، ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيئ لنا من أمرنا رشداً، اللهم إنا نَسألك أن تنصر الجيش العربي السوري، اللهم إنا نسألك أن تُثبت الأرض تحت أقدامهم، وأن تكون لهم مُعيناً وناصراً، اللهم وفق القائد المؤمن الرئيس بشار الأسد إلى ما فيه خير البلاد والعباد،

واجعله بشرة خير للأمة العربية والإسلامية، وخُذ بيده إلى ما تُحبه وترضاه، سُبحان ربك رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين.